# تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد


تأليف

الإمام المحدث السلفي الشهير بالأمير

محمد بن اسماعيل اليمني الصنعاني

(رحمه الله)

١٠٩٩ - ١١٨٢هـ



طبع ونشر

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

الإدارة العامة للطباعة والنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

# تطهير الاعتقاد
## عن
# أدران الإلحاد

تأليف

الإمام المحدث السلفي الشهير بالأمير
محمد بن إسماعيل اليماني الصنعاني
١٠٩٩ هـ - ١١٨٢ هـ

طبع ونشر
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة للطباعة والنشر
الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى
الطبعة الثالثة
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الناشر
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الرياض – المملكة العربية السعودية
الطبعة الثالثة : ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

ⓒ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ١٤٣٧هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*
الصنعاني، محمد بن إسماعيل
**تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد./** محمد بن إسماعيل الصنعاني- ط٣.-
الرياض ١٤٣٧هـ
٦٦ ص؛ ١٢ × ١٧ سم
ردمك: ٣ - ٧٢٤ - ١١ - ٩٩٦٠
١- الإسلام – دفع مطاعن ٢- البدع في الإسلام ٣- التوحيد
أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٧/٦١٧٣

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٦١٧٣
ردمك: ٣ - ٧٢٤ - ١١ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال الإمام العلامة الحبر الفهامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى] (١).

## [مقدمة الكتاب]

الحمد لله الذي لايقبل توحيد ربوبيته من العباد، حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد، فلا يتخذون له نداً، ولا يدعون معه أحداً، ولايتكلون إلا عليه، ولا يفزعون في كل حال إلا إليه، ولايدعونه بغير أسمائه الحسنى، ولا يتوصلون إليه بالشفعاء، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له (٣) رباً معبوداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أمره أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٤)، وكفى بالله شهيداً، صلّى الله عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب، وتطهير القلوب؛

---

(١) مابين القوسين من. خ

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٣) لفظ «وحده لاشريك له» من. خ

(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٧.

عن اعتقاد كل شين يشوب.

وبعد: فهذا «تطهير الاعتقاد، عن أدران الإلحاد» وجب عليَّ تأليفه، وتعين علي ترصيفه، لما رأيته، وعلمته يقيناً[1] من اتخاذ العباد الأنداد[2] في الأمصار، والقرى وجميع البلاد، من اليمن، والشام، ومصر، ونجد، وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء، ممن يدعي العلم بالمغيبات، والمكاشفات، وهو من أهل الفجور، لايحضر للمسلمين مسجداً، ولايرى لله راكعاً، ولاساجداً، ولا يعرف السنة، ولا الكتاب، ولايهاب البعث، ولا الحساب.

فوجب عليَّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولاأكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره.

فاعلم أن هاهنا أصولاً، هي من قواعد الدين، ومن أهم ماتجب معرفته على الموحدين.

---

(١) لفظ «يقيناً» من . خ

(٢) جمع ندّ وهو المماثل المكافىء (الناشر.)

## الأصل الأول

## كل ما في القرآن حق

إنه قد علم من ضرورة الدين: أن كل ما في القرآن فهو حق لاباطل، وصدق لاكذب، وهدى لاضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لاشك فيه.

فهذا الأصل، أصل لايتم إسلام أحد، ولا إيمانه إلا بالإقرار به، وهذا مجمع عليه لاخلاف فيه.

## الأصل الثاني

## الرسل بعثوا للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة

أن رسل الله وأنبياءه – من أولهم إلى آخرهم – بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، فكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[1]، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[2]، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[3].

---

(١) الأعراف الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

(٢) سورة هود الآية ٢٦.

(٣) سورة نوح الآية ٣.

وهذا هو الذي تضمنه قول «لا إله إلا الله» فإنها دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان، ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه، وهذا الأصل لامرية [1] فيما تضمنه ولاشك فيه، وفي أنه لايتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه.

## الأصل الثالث

## أقسام التوحيد

أن التوحيد قسمان:

**القسم الأول:** توحيد الربوبية، والخالقية، والرازقية، ونحوه، ومعناه: أن الله وحده، هو الخالق للعالم؛ وهو الرب لهم، والرازق لهم.

وهذا لاينكره المشركون، ولايجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مقرون به، كما سيأتي في الأصل الرابع.

**والقسم الثاني:** توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده

---

(١) أي لاشك فيه ولاارتياب (الناشر).

بجميع أنواع العبادات، الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء، ولفظ «الشريك» يشعر بالإقرار بالله تعالى.

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول، ودعاء المشركين إلى الثاني، مثل قولهم في خطاب المشركين﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[1]، و﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]، ونهيهم عن شرك العبادة؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[3]– أي قائلين لأممهم: أن اعبدوا الله، فأفاد بقوله «في كل أمة» أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل وتبعث إلا لطلب توحيد العبادة، لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم، وإنه رب السموات والأرض، فإنهم مقرون بهذا؛ ولهذا لم ترد الآيات فيه في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير، نحو﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[4] ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٠.

(٢) سورة فاطر الآية ٣.

(٣) سورة النحل الآية ٣٦.

(٤) سورة النحل الآية ١٧.

وَٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[2] ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[3] استفهام تقرير لهم؛ لأنهم به مقرون.

وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان[4] ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمه، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى، لأجل أنهم أشركوهم في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، بل اتخذوهم؛ لأنهم يقربونهم[5] إلى الله زلفى، كما قالوه، فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم، وأنهم شفعاء عند الله.

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[6]

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤.

(٢) سورة لقمان الآية ١١.

(٣) سورة فاطر الآية ٤٠.

(٤) الصنم: ماكان منحوتاً على صورة، والوثن ماكان موضوعاً على غير ذلك وقد يسمى الصنم وثناً.

(٥) أي يزعمون أنهم يقربونهم.

(٦) سورة يونس الآية ١٨.

فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا، ونزه نفسه عنه؛ لأنه لايشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفعاء لهم، لم يأذن الله لهم في شفاعة، ولاهم أهل لها، ولايغنون عنهم من الله شيئا؟

## الأصل الرابع

## المشركون مقرون بأن الله خالقهم

إن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله خالقهم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1] وأنه هو الذي خلق السموات والأرض ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] وأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3] ﴿ قُلْ

---

(١) سورة الزخرف الآيه ٨٧.

(٢) سورة الزخرف الآية ٩.

(٣) سورة يونس الآية ٣١.

لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[1]، [2].

وهذا فرعون مع غلوه في كفره، ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء، يقول الله في حقه، حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[3]، وقال إبليس ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] وقال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾[5] وقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِى﴾[6].. وكل مشرك مقر بأن الله خالقه، وخالق السموات والأرض وربهن[7] ورب مافيهن ورازقهم ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا

(١) سورة المؤمنون الآيات ٨٤-٨٩.

(٢) فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.

(٣) سورة الإسراء الآية ١٠٢.

(٤) سورة الحشر الآية ١٦.

(٥) سورة الحجر الآية ٣٩.

(٦) سورة الحجر الآية ٣٧.

(٧) لفظ «هن» في كلمة ربهن وفي كلمة «فيهن» من. خ وعبارة المطبوعة «وربها ورب مافيها»

يَخْلُقُ ﴾[1].

وبقـــولهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾[2]، والمشركون مقرون بذلك ولا ينكرونه.

## الأصـل الخامس

## أساس العبادة توحيد الله

أن العبادة [3]: أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله؛ لأنه مولى أعظم النعم، وكان لذلك حقيقاً بأقصى غاية الخضوع كما في (الكشاف)[4]، ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته، التي إليها دعا جميع الرسل، وهي قول «لا إله إلا الله».

والمراد اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، لامجرد قولها باللسان.

---

(١) سورة النحل الآية ١٧.

(٢) سورة الحج الآية ٧٣.

(٣) معنى العبادة: الخضوع المطلق له، وتوجيه العبادة إليه وحده لاشريك له (الناشر).

(٤) في تفسير الآية الكريمة « إياك نعبد وإياك نستعين».

ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهية، والنفي والبراءة من كل معبود دونه.

وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأنهم أهل اللسان العربي، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.[1]

## فصل

## أنواع العبادة

إذا عرفت هذه الأصول، فاعلم: أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً[2].

اعتقادية: وهي أساسها، وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد، الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وأنه الذي لاشريك له، ولايشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لامعبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الإلهية.

ومنها لفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما

---

(١) سورة (ص) الآية ٥.

(٢) وذلك بحسب جهتها إن كانت ترجع للاعتقاد، أو النطق، أو للبدن، أو للمال (الناشر).

ذكر، ولم ينطق بها: لم يحقن دمه، ولا ماله، وكان كإبليس فإنه يعتقد التوحيد، بل ويقر به، كما أسلفناه عنه، إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود[1] فكفر، ومن نطق بها[2] ولم يعتقد حقن ماله ودمه، وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام، والركوع، والسجود في الصلاة، ومنها الصوم، وأفعال الحج، والطواف.

ومالية: كإخراج جزء من المال، امتثالاً لما أمر الله تعالى به.

وأنواع الواجبات، والمندوبات في الأموال، والأبدان، والأفعال، والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها.

**الرسل مبعوثون للدعوة إلى إفراد الله بالعبادة**

وإذا تقررت هذه الأمور فاعلم: أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه، ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ

---

(١) لفظ «بالسجود» من. خ.

(٢) لفظ «بها» من.خ.

وَحْدَهُۥ ﴾[1] أي: لنفرده بالعبادة، ونخصه بها من دون آلهتنا فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله، ولم ينكروا الله تعالى، ولا قالوا: إنه لايعبد، بل أقروا بأنه يعبد، وأنكروا كونه يفرد بالعبادة، فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا معه أندادا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، أي: وأنتم تعلمون أنه لا ند له.

وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج: « لبيك لاشريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه ومامللك»، وكان يسمعهم النبي ﷺ عند قولهم «لاشريك لك» فيقول «قد قد» أي[3] أفردوه جل جلاله، لو تركوا قولهم: إلا شريكاً هو لك، فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى.

كما قال تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[4]، ﴿ قُلِ ٱدْعُوا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٧٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢.

(٣) «قد» الثانية ولفظ «أي» من . خ وقد حصل خلل في المطبوعة بسقوطها.

(٤) سورة الأنعام الآية ٢٢.

شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[١].

فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله تعالى، ولم يعبدوا الأنداد بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم، إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم لديه.

فأرسل الله الرسل تأمرهم[٢] بترك عبادة كل ماسواه، وتبين أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل، وأن التقرب إليهم باطل، وأن ذلك لايكون إلا لله وحده، وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين - كما عرفت في الأصل الرابع - بتوحيد الربوبية وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده.

ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح عليه السلام[٣] - إلى آخرهم - وهو محمد بن عبد الله ﷺ[٤] هو توحيد العبادة، ولذا تقول لهم الرسل ﴿أَن لَّا نَعْبُدُوٓاْ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٥.

(٢) لفظ «هم» في تأمرهم من . خ.

(٣) ليس أول الرسل نوحاً، بل آدم عليه السلام وإنما نوح أولهم بعد الطوفان أي من العصر الثاني للخليقة (الناشر).

(٤) قوله «ابن عبد الله» من . خ.

اللَّهَ ﴾[١]، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[٢].

وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة وينادیهم عند الشدائد ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد؛ وهي في الأصل صور رجال صالحين كانوا يحبونهم، ويعتقدون فيهم فلما هلكوا صوروا صورهم تسلياً بها،فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، ثم زاد الأمد طولاً، فعبدوا الأحجار، ومنهم من يعبد المسيح ومنهم من يعبد الكواكب ويهتف بها عند الشدائد، فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بأن يفردوه بالعبادة. كما أفردوه بالربوبية.. بربوبيته للسموات والأرض وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة «لا إله إلا الله»، معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها وأن لا يدعوا مع الله أحداً.

وقال تعالى﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾[٣].

---

(١) سورة هود الآية ٢٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٩.

(٣) سورة الرعد الآية ١٤.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١] ، أي من شرط الصدق في الإيمان بالله أن لايتوكلوا إلا عليه، وأن يفردوه بالتوكل، كما يجب أن يفردوه بالدعاء، والاستغفار.

وأمر الله عباده أن يقولوا: «إياك نعبد»، ولايصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى، وإلا كان كاذباً منهياً عن أن يقول هذه الكلمة إذ معناها: نخصك بالعبادة ونفردك بها دون كل أحد، وهو معنى قوله: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢] ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾[٣].

لما[٤] عرف من علم البيان، أن تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر، أي لا تعبدوا إلا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا إلا الله، ولاتتقوا[٥] غيره كما في (الكشاف).

فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لايتم إلا بأن يكون الدعاء

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٣.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٤١.

(٤) «لما» باللام هو لفظ خ ووقع في المطبوعة «كما» بالكاف.

(٥) قوله: «إلا الله ولا تتقوا» من . خ.

كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لايكون إلا لله وحده، والاستغاثة، والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر، والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات: من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق، والتقصير، كله لايكون إلا لله عز وجل، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق حي، أوميت، أوجماد، أو غيره فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنياً، أو حياً، أو ميتاً، وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق، مشركاً بالله، وإن أقر بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم غنيمة.

قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك)[1] لايقبل الله عملاً شورك فيه غيره، ولايؤمن به من عبد معه غيره.

---

(١) أي في الحديث القدسي: وتمامه: «.... من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» الناشر.

## فصل

## الإقرار بالله لايكفي في التوحيد

إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن عبادتهم، هي اعتقادهم فيهم: أنهم يضرون، وينفعون، وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين، متواضعين في خدمتهم، وسجدوا لهم،ومع هذا كله، فهم مقرون لله بالربوبية، وأنه الخالق، ولكنهم لما أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين، ولم يعتد بإقرارهم هذا؛ لأنه نافاه فعلهم.

فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية: فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية: أن يفرده بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك، فالإقرار باطل.

وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار فقالوا: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا

لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه، ولا جعلوهم خالقين، ولا رازقين، لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [2] أي: مايقر أكثرهم في إقراره بالله، وبأنه خلقه، وخلق السموات، والأرض، إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان.

بل سمى الله الرياء[3] في الطاعات شركاً، مع أن فاعل الطاعة ماقصد بها إلا الله تعالى، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبد الله لاغيره، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة، وسماها شركاً.

كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن**

---

(١) سورة الشعراء الآيتان (٩٧،٩٨).

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٦.

(٣) وهو إظهار الطاعة بقصد كسب الثناء، والذكر الحسن من الناس. (الناشر).

الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركاً، كما قال تعالى ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[1].

فإنه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما حملت حواء – وكان لايعيش لها ولد – طاف بها إبليس وقال: لايعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث، فسمته فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره، فأنزل الله الآيات[2]، وسمى هذه التسمية شركاً، وكان إبليس تسمى بالحارث والقصة في (الدر المنثور) وغيره[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٠.

(٢) وهي قوله تعالى في سورة الأعراف (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون).. (الأعراف – ١٦٠).

(٣) جزم ابن القيم في روضة المحبين ص ٢٨٩ طبعة مطبعة السعادة، بمصر بأن المراد باللذين جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولاد آدم وحواء، قال: ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل أن آدم وحواء كانا لايعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا، فإن الله سبحانه اجتباه، وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك، وقد سلك هذا المسلك الحافظ ابن كثير في تفسيره وأطال الكلام في تعليل الروايات

## فصل

## الاعتقاد في غير الله شرك

قد عرفت من هذا كله: أن من اعتقد في شجر أو حجر، أو قبر أو ملك أوجني أوحي أو ميت: أنه ينفع، أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به، والتوسل به إلى الرب تعالى.

إلا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد ﷺ[1] أو

---

الواردة في أن المراد بقوله تعالى (فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما)/ غير آدم وحواء.

(١) هو على كل تقدير من قبيل التوسل بالدعاء كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، قال (حديث الأعمى الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني – من التوسل بدعائه – فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره فقال له: إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك، فقال: بل ادعه فأمره أن يتوضأ، ويصلي ركعتين ويقول: اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة يامحمد يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها، اللهم فشفعه في، فهذا التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ودعا له النبي ﷺ ولهذا قال: «فشفعه في» فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه).

نحو ذلك – فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد مالا يحل اعتقاده، كما اعتقده المشركون في الأوثان، فضلاً عمن ينذر بماله، وولده لميت، أوحي، أويطلب من ذلك الميت مالا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات: من عافية مريضه أو قدوم غائبه، أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه، الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام.

والنذر بالمال للميت ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل به؛ وطلب الحاجات منه، هوبعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً.

والأسماء لاأثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر، وسماها ماء: ماشرب إلا خمراً، وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.

وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها

بغير اسمها، وصدق ﷺ فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذا.

وأول من سمّى مافيه غضب الله، وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين: إبليس لعنه الله، فإنه قال لأبي البشر آدم عليه السلام: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [1]؛ فسمى الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد، جذباً لطبعه إليها، وهزاً لنشاطه إلى قربانها، وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه لها.

كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة: بلقمة الراحة، وكما يسمي الظلمة مايقبضونه من أموال عباد الله ظلماً وعدواناً أدباً فيقولون: أدب القتل، أدب السرقة، أدب التهمة، بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب.

كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم النفاعة، وفي

---

(١) سورة طه الآية ١٢٠.

بعضها إلى اسم السياقة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين.

وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان، كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمى الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد.

وكذلك تسمية القبر مشهداً، ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت[1]، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

وكل قوم لهم رجل ينادونه.

فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي..!

وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه

---

(١) قال ابن تيمية: وأما السفر إلى زيارة القبور فلا يجب بالنذر عند أحد منهم، لأنه ليس بطاعة (الناشر).

يقولوا: يازيلعي يا ابن العجيل..!

وأهل مكة وأهل الطائف: ياابن العباس..!

وأهل مصر: يارفاعي، يابدوي، والسادة البكرية..!

وأهل الجبال: ياأباطير..!

وأهل اليمن: يا ابن علوان..!

وفي كل قرية أموات يهتفون بهم ويناد ونهم ويرجونهم لجلب الخير، ودفع الضر، وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام كما قلنا في الأبيات النجدية:[1]

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود؛ بئس ذلك من ود

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كمايهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد

وكم طائف حول القبور مقبلا ويستلم الأركان منهن باليد

فإن قال: إنما نحرت لله، وذكرت اسم الله عليه.؟!

---

(١) من قصيدة مدح بها المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأشاد فيها بدعوته.

فقل: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ إن قال: نعم، فقل له: هذا النحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره.. وإن لم ترد تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين؟ أنت تعلم يقيناً: إنك ما أردت ذلك أصلاً، ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا قصداً له، ثم كذلك دعاؤهم له.

فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب.

وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء، وينادونه في الشدة والرخاء، وهو عاكف على القبائح والفضائح، لايحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك، ولايحضر جمعة ولا جماعة ولايعود مريضاً ولايشيع جنازة، ولايكتسب حلالا، ويضم إلى ذلك دعوى علم الغيب[1] ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشش في

(١) دعوى «علم الغيب» وهو لفظ «خ» ووقع في المطبوعة «دعوى» التوكل وعلم الغيب.

قلوبهم، وباض فيها وفرخ، يصدقون بهتانه، ويعظمون شأنه ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً.

فيا للعقول أين ذهبت؟ ويا للشرائع كيف جهلت؟ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[1].

فإن قلت: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء، والفسقة، والخلعاء مشركين، كالذين يعتقدون في الأصنام؟!.

قلت: نعم قد حصل منهم ماحصل من أولئك، وساووهم في ذلك، بل زادوا عليهم[2] في الاعتقاد، والانقياد، والاستعباد فلا فرق بينهم.

فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون، نحن لانشرك بالله تعالى، ولانجعل له نداً، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركاً؟!.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٤.

(٢) لفظ عليهم من «خ».

قلت: نعم (يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم)، لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك، والله تعالى يقول: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [١] أي: لالغيره كما يفيده تقديم الظرف.

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [٢].

وقد عرفت بما قدمناه قريباً أنه ﷺ قد سمى الرياء شركاً، فكيف بما ذكرناه؟.

فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم: هو عين مافعله المشركون وصاروا به مشركين ولاينفعهم قولهم: نحن لانشرك بالله شيئاً؛ لأن فعلهم أكذب قولهم.

فإن قلت: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه.!

قلت: قد صرح الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة أن من

---

(١) سورة الكوثر الآية ٢.

(٢) سورة الجن الآية ١٨.

تكلم بكلمة الكفر يكفر، وإن لم يقصد معناها[1] وهذا دال على أنهم لايعرفون حقيقة الإسلام، ولاماهية التوحيد فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً، فإن الله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة ﴿أَن لَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾، وإخلاصها له ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2] الآية.

ومن نادى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وخوفاً وطمعاً، ثم نادى معه غيره، فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] بعد قوله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم، والسلوك

---

(١) هذا مغالاة في الحكم، وأرى أنه لايصح تكفير مسلم بشيء إلا بشيء مقصود له معتقده، مجاهر باتباعه(الناشر).

(٢) سورة البينة الآية ٥.

(٣) سورة غافر الآية ٦٠.

فيهم ماسلك رسول الله ﷺ في المشركين.

قلت: إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم(١)، فقالوا: يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد، وإبانة أن-ما يعتقدونه ينفع ويضر- لايغني عنهم من الله شيئاً، وأنهم أمثالهم،وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك، لايتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه، وإفراد التوحيد – اعتقاداً وعملاً-لله وحده، وهذا واجب على العلماء، أي بيان أن ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور، والنحائر، والطواف بالقبور- شرك محرم، وأنه عين ماكان يفعله المشركون لأصنامهم، فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك، وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله،فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه، ومن أصر فقد أباح الله منه ماأباح لرسوله ﷺ من المشركين.

---

(١) يوهم هذا وجود طائفة أخرى من أئمة العلم لاترى ماتراه هذه الطائفة منهم،وهو خلاف الحق والمسألة نصوص الوحي لامسألة خلاف.

فإن قلت: الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث، فإنه قد صحَّ أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر، ثم بنوح ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، وينتهون إلى محمد ﷺ، بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء، فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر؟! قلت: هذا تلبيس، فإن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لاينكرها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[1].

وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم، وطلبهم منهم أموراً لايقدر عليها إلا الله تعالى: من عافية المريض وغيرها،بل أعجب من هذا: إن القبوريين وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه: قد يجعلون له حصة من الولد إن عاش، ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش لهم[2] ويأتون

(١) سورة القصص الآية ١٥.

(٢) لفظ «لهم» من .خ .

بمنكرات مابلغ إليها المشركون الأولون.

ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ماينذر القبوريون لبعض أهل القبور، أنه جاءه إنسان بدراهم، وحلية نسائية، وقال: هذه لسيده فلان – يريد صاحب القبر – نصف مهر ابنتي، لأني زوجتها وكنت ملكت نصف مهرها[1] فلاناً – يريد صاحب القبر.

وهذه النذور بالأموال، وجعل قسط للقبر، كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه «تلماً» في بعض الجهات اليمنية، وهذا شيء مابلغ إليه عباد الأصنام وهو داخل تحت قول الله تعالى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾[2] بلا شك ولاريب.

نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب، حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لاشك في جوازه، أعني طلب دعاء

---

(١) لفظ «مهرها» من .خ.

(٢) سورة النحل، الآية، ٥٦.

الله تعالى، من بعض عباده لبعض، بل قد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**» وأمرنا الله سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [1] وقد قالت أم سليم رضي الله عنها: يارسول الله خادمك أنس، ادع الله له».

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه.

والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً، ولاموتاً ولاحياة ولانشوراً-أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لايقدر عليها أحد إلا الله تعالى،هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) سورة الحشر الآية ١٠.

تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (٢).

فكيف يطلب الإنسان من الجماد أو من الحي ، الجماد خير منه ؛ لأنه لاتكليف عليه.

وهذا يبين مافعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ (٣). وقال: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (٤).

فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة (٥)، فاعتقدوا فيهم مالايجوز أن يعتقد إلا في الله، وجعلوا لهم جزءاً من المال،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٧.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٤.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٦.

(٤) سورة النحل الآية ٥٦.

(٥) القذة بضم القاف: ريش السهم، والمراد: نهجوا نهجهم.

وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة، وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً إليهم – وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك.

ولاأدري: هل فيهم من يسجد لهم؟ لاأستبعد أن فيهم من يفعل ذلك.

بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده، تعظيماً له وعبادة ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه،فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه!!. وهكذا كان عباد الأصنام﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1].

وفي الحديث الصحيح: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»، وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يحلف باللات، فأمره

(١) سورة الزمر الآية ٤٥.

أن يقول «لا إله إلا الله».

وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم، فأمره أن يجدد إسلامه، فإنه قد كفر بذلك، كما قررناه في «سبل السلام شرح بلوغ المرام» وفي «منحة الغفار»(١).

فإن قلت: لا سواء؛ لأن هؤلاء قد قالوا «لا إله إلا الله»، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

وقال لأسامة بن زيد: «**أَقَتَلْتَهُ بعد ما قال: لا إله إلا الله**»؟ وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون؛ بخلاف المشركين.

قلت: قال صلى الله عليه وسلم: «إلا بحقها» وحقها: إفراد

---

(١) ماقرره الصنعاني في هذا الحديث خلاف صنيع البخاري في باب (من حلف بملة سوى ملة الإسلام) من صحيحه فقد قال فيه (وقال النبي ﷺ: من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله ولم ينسبه إلى الكفر) ومن المعلوم أن مايقع من الصحابة في ذلك ليس على سبيل القصد وإنما هو من سبق اللسان فأمر من وقع منهم في ذلك بقول (لا إله إلا الله) من باب الكفارة لا من باب تجديد الإسلام.

الإلهية، والعبودية لله تعالى.

والقبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة، فلم تنفعهم كلمة الشهادة فإنها لاتنفع إلا مع التزام معناها، كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء.

وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة،ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلون، ولكنهم قالوا: إن مسيلمة نبي، فقاتلهم الصحابة، وسبوهم، فكيف بمن يجعل للولي خاصة؟ الإلهية، وينادي للمهمات؟ وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق أصحاب عبد الله بن سبأ، وكانو يقولون: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنهم غلوا في علي رضي الله عنه واعتقدوا فيه مايعتقد القبوريون وأشباههم، فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة، فإنه حفر لهم الحفائر، وأجَّج لهم ناراً، وألقاهم فيها، وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

وقال الشاعر في عصره:

لتَرْم بي المنية حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

إذا ماأججوا فيهن ناراً رأيت الموت نقداً غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير.

وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال: لا إله إلا الله، فكيف بمن يجعل لله نداً؟

فإن قلت: قد أنكر ﷺ على أسامة قتله لمن قال «لا إله إلا الله» كما هو معروف في كتب الحديث والسير.

قلت: لاشك أن من قال: لا إله إلا الله من الكفار، حقن دمه وماله، حتى يتبين منه مايخالف ماقاله، ولذا أنزل الله في قصة محلِّم بن جثَّامة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [1] – الآية فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن من قال كلمة التوحيد، فإن تبين التزامه لمعناها كان له ما للمسلمين، وعليه ماعليهم،

(١) سورة النساء الآية ٩٤.

وإن تبين خلافه، لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ.

وهكذا كل من أظهر التوحيد، وجب الكف عنه إلى أن يبين منه مايخالف ذلك، فإذا تبين لم تنفعه هذه الكلمة بمجردها، ولذلك لم تنفع اليهود، ولانفعت الخوارج مع ماانضم إليهم من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها، بل أمر ﷺ بقتلهم، وقال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، وذلك لما خالفوا بعض الشريعة، وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء، كما ثبتت به الأحاديث.

فثبت أن مجرد قول[1] كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه مايخالفها من عبادة غير الله.

فإن قلت: القبوريون وغيرهم – من الذين يعتقدون في فسقة الناس، وجهالهم من الأحياء – يقولون: نحن لانعبد هؤلاء، ولانعبد إلا الله وحده، ولانصلي لهم، ولانصوم، ولانحج.

---

(١) لفظ «قول» من «خ».

قلت: هذا جهل بمعنى العبادة، فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ماسمعته مما تفرع عن الاعتقاد: من دعائهم، وندائهم، والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة، والحلف والنذر وغير ذلك.

وقد ذكر العلماء أن من تزيَّا بزي الكفر صار كافراً، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً، فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلاً؟.

فإن قلت: هذه النذور والنحائر ماحكمها؟

قلت: قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها، يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية، ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والأقاصي، فلا يبذل أحد من ماله شيئاً إلا معتقداً لجلب نفع أكثر منه، أو دفع ضر، فالناذر للقبر ماأخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ماأراده ماأخرج درهماً، فإن الأموال عزيزة عند أهلها، قال تعالى: ﴿وَلَا

يَسْـَٔلَكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾[1].

فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله، وأنه لاينفعه مايخرجه ولايدفع عنه ضرراً،وقد قال ﷺ: «**إن النذر لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»، ويجب رده إليه، وأما القابض للنذر: فإنه حرام عليه قبضه؛ لأنه أكل المال الناذر بالباطل، لافي مقابلة شيء، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[2]؛ ولأنه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده، ورضاه بذلك، ولايخفى حكم الراضي بالشرك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[3] فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي؛ ولأنه تدليس على الناذر، وإيهام له أن الولي ينفعه ويضره، فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت.؟!

---

(١) سورة محمد (ﷺ) الآيتان ٣٦،٣٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٨.

(٣) سورة النساء الآية ٤٨.

وأي تدليس أعظم؟! وأي رضى بالمعصية العظمى[1] أبلغ من هذا؟ وأي تصيير لمنكر معروفاً أعجب من هذا؟ وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب: يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم، ودفع الضرر، فينذر له جزوراً من ماله، ويقاسمه في غلات أطيانه، ويأتي به إلى سدنة الأصنام، فيقبضونه منه، ويوهمونه حقية عقيدته، وكذلك يأتي بنحيرته فينحرها بباب بيت[2] الصنم، وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها وإتلافها والنهي عنها.

فإن قلت: إن الناذر قد يدرك النفع، ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله.؟

قلت: كذلك الأصنام قد يدرك منها ماهو أبلغ من هذا، وهو الخطاب من جوفها، والإخبار ببعض مايكتمه الإنسان، فإن كان هذا دليلاً على حقية القبور، وصحة الاعتقاد فيها: فليكن دليلاً

---

(١) لفظ «العظمى» من «خ».

(٢) لفظ «بيت» من «خ».

على حقية الأَصنام، وهذا هدم للإسلام، وتشييد لأَركان الأصنام.

والتحقيق: أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد، وقد مكن الله إبليس من الدخول في الأبدان، ووسوسة في الصدور، والتقام القلب بخرطومه، وكذلك يدخل أجواف الأصنام، ويلقي الكلام في أسماع الأقوام، ومثله يصنعه في عقائد أهل القبوريين، فإن الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله، ورجله على بني آدم، وأن يشاركهم في الأموال والأولاد.

وثبت في الأحاديث «أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله، فيلقيه إلى الكهان – وهم الذين يخبرون بالمغيبات، ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة»، ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم، فيقولون: إن الولي فعل وفعل، يرغبونهم فيه، ويحذرونهم منه، وترى العامة ملوك الأقطار، وولاة الأمصار معززين لذلك، و يولون العمال لقبض النذور، وقد يتولاها من

يحسنون فيه الظن من عالم قاض أو مفت، أو شيخ صوفي، فيتم التدليس لإبليس، وتقرعينه بهذا التلبيس.

فإن قلت: هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبق الأرض شرقاً وغرباً، ويمناً وشاماً وجنوباً وعدناً، بحيث لاتجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها، ويعظمونها، وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها، ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها، ومافي معناها من التعظيم، والخضوع، والخشوع، والتذلل، والافتقار إليها، بل هذه مساجد المسلمين، غالبها لايخلو عن قبر أو قريب منه، أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة، يصنعون فيه ماذكر، أوبعض ماذكر، ولايسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ماذكرت من الشناعة، ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا.

قلت: إن أردت الإنصاف، وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق: ماقام عليه الدليل، لامااتفق عليه العوالم، جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل، فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها، ونسعى في هدم منارها، صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دبير وقبيل[1] ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته، وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية: أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه، ويعظمونه، ويرحلون به إلى محل قبره.. ويلطخونه بترابه، ويجعلونه طائفاً على قبره فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولايسمعون من أحد عليهم من نكير[2].

بل ترى ممن يتسم بالعلم، ويدعي الفضل، وينتصب

---

(١) لفظ «دبير وقبيل» من «خ».

(٢) لاشك أن مايفعله الجهال من ذلك إثم كبير، وضلال بعيد (الناشر).

للقضاء، أو الفتيا، أو التدريس، أو الولاية، أو المعرفة، أو الأمارة، والحكومة معظماً لما يعظمونه، مكرماً لما يكرمونه، قابضاً للنذور، آكلاً ماينحر على القبور، فيظن العامة أن هذا دين الإسلام، وأنه رأس الدين والسنام، ولايخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر: أن سكوت العالِم أو العالَم[1] على وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر.

ولنضرب لك مثلا من ذلك،وهي:هذه المكوس المسماة بالمجابي، المعلوم من ضرورة الدين تحريمها: قد ملأت الديار والبقاع وصارت أمراً مأنوساً لايلج إنكارها إلى سمع من الأسماع، وقد امتدت أيدي المكاسيين في أشرف البقاع، في مكة أم القرى يقبضون من القاصدين لأداء فريضة الإسلام، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام، وسكانها من فضلاء الأنام، والعلماء والحكام ساكتون عن الإنكار، معرضون عن الإيراد والإصدار – أفيكون السكوت من العلماء بل من العالم[2] دليلاً

---

(١) لفظ «أو العالم» من «خ».

(٢) لفظ «من العلماء بل من العالم» من «خ».

على حل أخذها وإحرازها؟ هذا لايقوله من له أدنى إدراك[1].

بل أضرب لك مثلا آخر: هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء، أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال: هذه المقامات الأربعة التي فرقت عبادات العباد واشتملت على مالايحصيه إلا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين، بدعة قرت بها عين إبليس اللعين، وصيرت المسلمين ضحكة الشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووفد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها، وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي أذنين، أفهذا السكوت دليل على جوازها؟ هذا لايقوله من له إلمام بشيء من المعارف[2] كذلك سكوتهم على هذه الأشياء

---

(١) ونص الغزالي في الاحياء على حرمة مثل هذه المكوس والإثم الشديد على آخذها.

(٢) مقتضى هذا أن العلماء لم يستنكروا هذا وهو خلاف الواقع فقد قال العلامة قطب الدين الحنفي في(الإعلام بأعلام بيت الله الحرام): «أن تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بإمام ماأجازه كثير من العلماء، وأن تعدد المقامات في وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الإنكار، ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدي الناس إلى الآن، وأن علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطأوا من قال بجوازه» اهـ. =

الصادرة من القبوريين.

فإن قلت: يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة، حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة ؟!.

قلت: حقيقة الإجماع: اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ على أمر بعد عصره، وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة(١) وإن كان هذا قولاً باطلاً، وكلاماً لايقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم: لاإجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة، فلا يرد السؤال فإن هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة.

---

=وأما إنكار المؤلف لهذا الصنيع فلا شك في وجاهته وقد برّأ به ذمته كما برئت ذمة من سبقه من العلماء، وقد حصل بفضل الله ماتمنوه بعد استيلاء الحكومة السعودية حفظها الله على الحرمين،فقد أزالت هذه المقامات وجمعت المسلمين على إمام واحد في الصلاة، وفي هذا تنبيه على أن مايسجله الدعاة من الحق إن لم ينتفع به معاصروهم فسينتفع به من وفقه الله ممن يأتي من بعدهم والله المستعان.

(١) إحالة الاجتهاد من بعد الأئمة الأربعة ليس إلا قول بعض المنتسبين إلى هذه المذاهب من المتأخرين وقد اعتبر السيوطي ذلك القول منهم جهلا، وألف في الرد عليه كتاب (الرد على من أخلد الى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض)، وقد سرد نصوص فقهاء المذاهب الأربعة المعتبرين على خلاف ماذكره الصنعاني هنا. أهـ.

وعلى مانحققه: فالإجماع وقوعه محال، فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق، وصارت في كل أرض وتحت كل نجم، فعلماؤها المحققون لاينحصرون ولايتم لأحد معرفة أحوالهم. فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين، وكثرة علماء المسلمين: فإنها دعوى كاذبة، كما قاله أئمة التحقيق.

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر ومأأنكروه، بل سكتوا عن إنكاره، لما دل سكوتهم على جوازه، فإنه قد علم من قواعد الشريعة: أن وظائف الإنكار ثلاثة.

أولها: الإنكار باليد، وذلك بتغيير المنكر وإزالته.

ثانيها: الإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير باليد.

ثالثها: الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر.

ومثاله: مرور فرد من أفراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين، فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان؛ لأنه إنما يكون سخرية لأهل العصيان، فانتفى شرط الإنكار بالوظيفتين، ولم يبق إلا الإنكار بالقلب الذي هو

أضعف الإيمان.

فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً عن الإنكار مع مشاهدة مايأخذه ذلك الجبار، أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار، باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه، فإن حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب، والتأويل لهم ماأمكن ضربة لازب، فالداخلون إلى الحرم الشريف، والمشا هدون لتلك الأبنية الشيطانية التي فرقت شمل[1] الدين وشتت صلوات المسلمين معذورون عن الإنكار إلا بالقلب، كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين.

ومن هنا يعلم اختلال مااستمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض مايستدلون عليه بالإجماع[2] أنه وقع ولم ينكر، فكان إجماعاً.

ووجه اختلاله: إن قولهم «ولم ينكر» رجم بالغيب، فإنه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الإنكار باليد واللسان وأنت تشاهد في زمانك، أنه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك، وأنت منكر له بقلبك، ويقول الجاهل إذا رآك تشاهده:

---

(١) لفظ «شمل» من «خ» ووقع بدله في المطبوعة «كلمة».

(٢) قوله «بالإجماع» من «خ».

سكت فلان عن الإنكار، يقوله إما لائماً أو متأسياً بسكوته، فالسكوت لا يستدل به عارف، وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال، فعل فلان كذا، وسكت الباقون فكان إجماعاً - مختل من جهتين:-

الاولى: دعوى أن سكوت الباقين تقرير لفعل فلان؛ لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير.

الثانية: قولهم «فكان إجماعاً» فإن الإجماع اتفاق مجتهدي[1] أمة محمد ﷺ والساكت لا ينسب إليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه.

قال بعض الملوك - وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت - مالك لا تقول كما يقولون؟ فقال: إن تكلمت خالفتهم.

فما كل سكوت رضى، فإن هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه، وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فرد من الأفراد على

(١) لفظ «مجتهدي» من «خ».

دفعه عما أراد.

فإن هذه القباب، والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام، وخراب بنيانه، غالب – بل كل – من يعمرها هم الملوك، والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه، من فاضل، أو عالم أو صوفي أو فقير، أو شيخ أو كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولاهتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء، وسرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر، وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل، ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعن على من أسرج على القبور، وكتب عليها وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فإن ذلك في نفسه منهي عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة.

فإن قلت: هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة

عظيمة، أنفقت فيها الأموال.

قلت: هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ ولا من أصحابه ولا من تابعيهم، ولا تابع التابعين، ولا من علماء أمته، وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي، المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة؛ ذكره في «تحقيق النصرة بتخليص معالم دار الهجرة»[1] فهذه أمور دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخر الأول.

وهذا آخر ماأردناه مما أوردناه؛لماعمت البلوى، واتبعت الأهواء، وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا إلى ماتمالت العامة إليه، وصار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ولم نجد من الأعيان ناهياً عن ذلك ولازاجراً.

فإن قلت: قد يتفق للأحياء أو للأموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الأفعال، يتسمون بالمجاذيب، فما حكم مايأتون

---

(١) للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي المتوفى سنة ٨١٦. والمشهور: ان اسمه كنيته، وقيل: اسمه عبدالله وله ترجمة طويلة في الضوء اللامع للمؤرخ الناقد السخاوي.

به من تلك الأمور فإنها مما جلبت القلوب إلى الاعتقاد بها؟.

قلت: أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم، ويقولونها بألسنتهم، ويخرجونها عن لفظها العربي: فهم من أجناد إبليس اللعين، ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين، فإن إطلاق الجلالة منفرداً عن إخبار عنها بقولهم «الله، الله» ليس بكلام، ولا توحيد، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف[1] بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني، ولو أن رجلاً عظيماً صالحاً يسمى بزيد، وصار جماعة يقولون: زيد زيد، لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية، ولاسيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ.

ثم انظر هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها؟ أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب

---

(١) حاول بعض المتأخرين الاستدلال لهذا الصنيع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ وقال: معنى قوله (قل الله) لايكون خطابك لهم إلا مَدّ الكلمة كلمة (الله)، وقد رد عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره بقوله: (وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لايفيد في لغة العرب إفادة يحسن السكوت عليها.

الذكر، والتوحيد والتسبيح، والتهليل، وهذه أذكار رسول الله ﷺ، وأدعيته، وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق، والنهيق والنعيق، الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمته ودله في مكان سحيق، ثم قد يضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر، والعيدروس، بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون إلى أهل القبور من الظلم، والجور، كعلي رومان، وعلي الأحمر، وأشباههما، وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وأهل الكساء، وأعيان الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال، فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر.

فإن قلت: إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة، ويضيفون إليها أهل الخلاعة والبطالة، خوارق عادات، وأموراً تظن كرامات، كطعن أنفسهم بالآلات الحادة، وحملهم لمثل الحنش، والحية والعقرب وأكلهم النار، ومسهم إياها بالأيدي وتقلبهم فيها بالأجسام.

قلت: هذه أحوال شيطانية، وإنك لملبس عليك إن ظننتها

كرامات للأموات، أو حسنات للأحياء، لما هتف هذا الضال بأسمائهم وجعلهم أنداداً وشركاء لله تعالى في الخلق والأمر، فهؤلاء الموتى أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى، فهل يرضى ولي الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكاً له تعالى وندأً؟ إن زعمت ذلك فقد جئت شيئاً إداً، وصيرت هؤلاء الأموات مشركين، وأخرجتهم – وحاشاهم عن ذلك – عن دائرة الإسلام والدين، حيث جعلتهم أنداداً لله راضين فرحين، وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين، التابعين لكل باطل، المنغمسين في بحار الرذائل، الذين لايسجدون لله سجدة، ولايذكرون الله وحده، فإن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين وللمجانين، وهدمت بذلك ضوابط الإسلام، وقواعد الدين المبين والشرع المتين.

وإذا عرفت بطلان هذين الأمرين، علمت أن هذه أحوال شيطانية وأفعال طاغوتية، وأعمال إبليسية، يفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين، معاونة من الفريقين على إغواء العباد.

وقد ثبت في الأحاديث: أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان، وهذا أمر مقطوع بوقوعه، فهم الثعابين

التي يشاهدها الإنسان في أيدي المجاذيب.

وقديكون ذلك من باب السحر، وهو أنواع: وتعلمه ليس بالعسير بل بابه الأعظم: هو الكفر بالله، وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه فلا يغتر من يشاهد مايعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق، فإن للسحر تأثيراً عظيماً في الأفعال، وهكذا الذين يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها، وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات حتى أوجس في نفسه خفية موسى عليه السلام.

وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل أعظم من هذا فإنه قد ذكر ابن بطوطة وغيره: أنه شاهد في بلاد الهند قوماً توقد لهم النار العظيمة فيلبسون الثياب الرقيقة، ويخوضون في تلك النار، ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء.

بل ذكر أنه رأى إنساناً عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضواً عضواً، ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقاً، حتى لم ير أحد شيئاً من تلك الأعضاء، ثم صاح وبكى، فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كل عضو على انفراده، وانضم إلى الآخر، حتى قام كل واحد منهما على عادته حياً سوياً، ذكر هذا

في رحلته، وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت، طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف، وأملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله.

وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني[1] بسنده: أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج، فرآه جندب رضي الله عنه، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيفه،فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب (أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟) ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها فانذعر الناس فحبسه الوليد، وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه، وكان على السجن رجل نصراني فلما رآى جندباً يقوم الليل ويصبح صائماً قال النصراني: والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدق،فوكل بالسجن رجلاً ودخل الكوفة، فسأل عن أفضل

(١) هو علي بن الحسين الأصفهاني الأموي صاحب كتاب الأغاني شيعي، وهذا نادر في أموي كذا ذكر الذهبي في (ميزان الاعتدال) ثم قال: وكان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات يأتي بأعاجيب حدثنا وأخبرنا وكان طلبه في حدود الثلاثمائة، فكتب مالا يوصف كثرة حتى لقد اتهم، والظاهر أنه صدوق،وقد قال أبوالفتح بن أبي الفوارس (خلط قبل موته) وأطال الذهبي في ترجمته. اهـ

أهلها فقالوا: الأشعث بن قيس، فاستضافه فرأى أبا محمد -يعني الأشعث- ينام الليل، ويصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده وسأل: أي أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جرير بن عبد الله، فوجده ينام الليل. ثم يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة فقال: ربي رب جندب، وديني دين جندب، وأسلم.

وأخرجها البيهقي[1] في السنن الكبرى بمغايرة في القصة، فذكر بسنده إلى أبي الأسود[2]: أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به، فيقوم صارخاً، فيرد إليه رأسه.

فقال الناس: سبحان الله؟ يحيي الموتى، ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه، وقال: إن

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الحافظ،بلغت تصانيفه ألف جزء وقد نفع الله المسلمين بها شرقاً وغرباً لإمامة الرجل ودينه وفضله وإتقانه،توفي عاشر جمادى الأولى بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. ا. هـ. ملخصاً في خبر من غبر للحافظ الذهبي.

(٢) وهو «أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو وثنا أبو العباس الأصم ثنا بحر بن نصر ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود.

كان صادقاً فليحيي نفسه، فأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن، فسجنه[1] انتهى.

بل أعجب من هذا: ماأخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في قصة طويلة، وفيها: أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت، وأنها أخذت قمحاً، فقالت له – بعد أن ألقته قالت له: اختبز فاختبز، وكانت لاتريد شيئاً إلا كان[2].

والأحوال الشيطانية لاتنحصر، وكفى بمايأتي به الدجال، والمعيار اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما.

انتهى ماأوردناه ولله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً[3] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

---

(١) كذا في الأصل وعبارة البيهقي ج ٨ص ١٣٦ «وأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن وكان رجلاً صالحاً فسجنه فأعجبه نحو الرجل قال: أفتستطيع أن تهرب، قال: نعم، قال: فاخرج «لايسألني الله عنك أبداً» ا.هـ.

(٢) روى البيهقي تلك القصة الطويلة المشار إليها في (باب قبول توبة الساحر وحقن دمه) من السنن الكبرى.

(٣) لفظ «وظاهراً وباطناً» من «خ».

تم الكتاب والحمد لله

وقد قوبل على نسخة خطية ضمن مجموعة تحتوي على كتب قيمة وهي من مكتبة سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى والنسخة المذكورة محفوظة في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٣٠٧.

وقد قام بتلك المقابلة وبالتصحيح والتعليق إسماعيل بن محمد الأنصاري -رحمه الله-، وإلى المخطوطة المذكورة يرمز في بعض تعليقاته بحرف «خ».

(فهرست كتاب تطهير الاعتقاد)


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة الكتاب..... | ٣ |
| الأصل الأول كل ما في القرآن حق..... | ٥ |
| الأصل الثاني الرسل بعثوا للدعوة إلى توحيد الله ..... | ٥ |
| الأصل الثالث أقسام التوحيد ..... | ٦ |
| الأصل الرابع المشركون مقرون أن الله خالقهم إلخ ... | ٩ |
| الأصل الخامس أساس العبادة توحيد الله ..... | ١١ |
| أنواع العبادة ..... | ١٢ |
| الرسل مبعوثون للدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ..... | ١٣ |
| الإقرار بالله لايكفي في التوحيد مع الشرك في العبادة . | ١٩ |
| الاعتقاد في غير الله في النفع والضر شرك ..... | ٢٢ |
| طلب الدعاء من الحي غير الطلب من الميت ..... | ٢٣ |
| الأسماء لاتغير المعاني ..... | ٢٤ |
| تسمية القبر مشهداً لاتخرجه عن اسم الصنم ..... | ٢٥ |
| محاجة مع من يذكر اسم الله في الذبح عند القبر ..... | ٢٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الجهل بلغ بالمشركين حتى اعتقدوا في الفسقة ..... | ٢٧ |
| عودة إلى بحث الطلب من الحي والميت بتفصيل ..... | ٣٢ |
| من حلف بغير الله هل يكون مرتداً أم لا؟ ..... | ٣٦ |
| حكم النذور والنحائر للقبور ..... | ٤١ |
| بحث فيما يحصل للمشركين من تضليل الشيطان وجنوده من الجن والإنس وطاعة العامة لهم بسبب مايوسوسون به . | ٤٣ |
| من البلاء العظيم أكل العلماء للسحت من النذور والنحائر على القبور وسكوتهم على إنكار المنكر ..... | ٤٧ |
| أمثلة لمنكرات عمت البلوى بها واضطر العلماء للسكوت عنها مما تقر به عين إبليس وجنوده ..... | ٤٨ |
| سكوت العالم عن الإنكار لايصلح حجة على الجواز؛ لأن المنكرات قد يحميها من بيده السلطة ..... | ٤٩ |
| حكم من يحصل له خوارق من الأفعال حياً أو ميتاً وحكم مايعمل من الأذكار المبتدعة والأحوال الشيطانية بإيضاح وتفصيل وإلحاق بعضه بالسحر ..... | ٥٤ |